مجموعة من الخُدَّام والخادمات من القاهرة
محاضرة بدير القدِّيس أنبا مقار بوادي النَّطرون
السَّبت ٢٠ مايو سنة ٢٠١٧م

طبيعة جسد المسيح بعد القيامة

الرَّاهب القس أثناسيوس المقاري

• جسدُ المسيح بعد القيامة هو جسدٌ ممجَّد ليس للعين البشريَّة أن تراه إلاَّ بسماحه

جسد السيِّد المسيح بعد القيامة، وقد أصبح ممجَّداً بفعل القيامة، لا يُرى بالعين البشريَّة. فرؤية الشَّخص السَّماوي – سواء كان هو المسيح أو ملاك – تحتاج إلى عاملين؛ العامل الأوَّل هو انفتاح بصيرة الشَّخص الذي يَرى، فعين الإنسان التي ترى، قد تنفتح من قِبَل الله لترى ما لا يُرى، أو تنغلق فلا تَرى شيئاً من أمور الرُّوح. والعامل الثَّاني هو رغبة الشَّخص السَّماوي في أنْ يُظهر ذاته، أو أنْ يَلغي ظهورَه، إذ له القدرة على ذلك. ولذلك لا يمكن التَّحكُّم في منظر روحي واحد، لأكثر من شخص واحد. وهذا يفسر لنا سبب اختلاف الرِّوايات في ظهورات الرَّب بعد قيامته، أو رؤية الملائكة عند القبر.

وما يوضِّح هذا الأمر، هو قصَّة تلميذي عِمواس (لوقا ٢٤:١٣-٣٥). فالرَّب يَظهر لهما بهيئة رَجُل غريب ومتغرِّب في أورشليم، ويسألهما عمَّا حدث. وفيما هو يتكلَّم معهما، أُمسكت أعينهما عن معرفته، وإذ بدا أنهما غير فاهمَين عمَّا تكلَّمت به الكُتُب عن المسيح أنه ينبغي أن يتألَّم ليدخُل إلى مجده، هنا «فتح (الرَّب) ذهنهم ليفهموا الكُتُب» (لوقا ٢٤:٤٤، ٣٥). فالتهب قلبهما بحضوره السِّري غير المعلَن ولا منظور. وعند لحظة كسر الخُبز، فتح أعينهما ليرياه حاضراً بصفته في وضع القيامة. وهكذا يستطيع المسيح أن يُظهر ذاته، أو يحجب هذا الظُّهور بناء على قدرته في ذلك. وأيضاً يمكنه أن يفتح وعي الإنسان أو يغلقه، وذلك بحسب إرادته هو. وبعد أن عرفاه عند كسر الخُبز، في الحال اختفى[1] عنهم.

كما أنَّ ظهور الرَّب للتَّلاميذ وهم مجتمعون في العِلِّيَّة، والأبواب مُغلقة (يوحنَّا ٢٠:١٩-٢٣)، يماثل قصَّة تلميذي عمواس، لأنه تقليد اختباري واحد، يكشف قُدرة المسيح المُقام، أن يَظهر بكامل هيئته الأولى قبل القيامة، ثمَّ ينسحب من الوجود المحسوس حين يريد.

لقد أعلن المسيح عن ذاته للتَّلاميذ في العِلِّيَّة بأكثر وضوح، ليس كروح كما ظنّوا، ولكن بلحمه وعظامه. لأنهم حين خافوا وظنُّوه روحاً، أفهمهم أنَّ الخلائق السَّمائيَّة ملائكة وغير ملائكة ليس لها جسم بلحم وعظام، كما هو كائن أمامهم باعتباره الابن المتجسِّد هو هو. فالجسد الممجَّد للمسيح، له استطاعة أن يكون مرئياً ومحسوساً، كما أنَّ له استطاعة أن يحجب حضوره المنظور، ليُصبح موجوداً، ولكن غير منظور.

ولا يظنُّ أحدٌ أنه حينما جعلهم يجسُّون لحمه وعظامه، يعني أنَّ جسد القيامة فيه لحم وعظام، ولكن هو بإرادته يُظهر نفسه، حتى يتوافق مع طبيعتنا إلى لحظة، ثمَّ يحجب ظهوره، فلا يعود يُرى، لأنه يحيا في السَّماء بلا لحم وعظام، لأنَّ «لحماً ودماً لا يرثان ملكوت الله» (١كورنثوس ١٥:٥٠). فالمسألة هنا هي قُدرة على الظُّهور، وقُدرة على سحب الظُّهور من تحت العيان، ليمارس وجوده السَّمائي. وهو ما يقوله القدِّيس بولس؛ عن أنَّ جسم القيامة شيء، وجسم الطَّبيعة على الأرض شيء آخر. هذا جسم روحاني سمائي، وهذا جسم ترابي مادي أرضي (١كورنثوس ١٥:٤٠، ٤٤).

١- لا نقول اختبأ، فحاشا للرَّب من ذلك. لأنَّ الرَّب نفسه يقول: «من يفعل الحق فيُقبل إلى النُّور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة» (يوحنَّا ٣:٢١). والحق هنا هو المسيح. أي أنَّ الذي يفعل أفعال المسيح يُقبل إلى النُّور. فهل المسيح، وهو الحق نفسه، يختبئ؟!!!

فالمسيح وبالجسد القائم من الموت، ومواصفاته الجديدة غير المنظورة ولا الملموسة، أخضع جسده للرؤيا واللَّمس، لتصير لدى التَّلاميذ وبالتَّالي لدى الكنيسة، الخبرة الحقيقيَّة والصَّادقة بحقيقة القيامة بالجسد وصدقها. «الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة، بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلَّم عن الأمور المختصَّة بملكوت الله» (أعمال ١:٣). إذاً؛ كان لابد للرَّب أن يُسلِّم سرّ قيامته المقدَّسة لتلاميذه، إذ أظهر ذاته لهم بجسده الممجَّد الجديد، واستعلن جراحه، ليؤمنوا أنَّ بصليبه أُظهرت الحياة، وبموته كانت القيامة، وكان استعلان ابن الله.

وحينما ألح عليهم أن يجسّوه وينظروا يديه المجروحتَين وقدميه المجروحتَين، كان ليؤكِّد لهم موته وصلبه الذي جازه من أجل البشريَّة التي فيه، التي أخذها لنفسه ليصنع فيها ولها وجوداً جديداً قائماً من الأموات بواسطة موته بها، وقيامته بها. فصارت البشريَّة لها ما للمسيح من موت سابق، وقيامة حاضرة، ووجود سمائي دائم.

فمسيح القيامة هو مسيح الصَّليب. لأنَّ الجسد الذي قام لم يعد يستمد حياته من عناصر الحياة على الأرض بل من فوق، من الحياة التي له خاصة «كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته» (يوحنَّا ٥:٢٦). فصارت علامات الموت وسماته، شهادة للموت الذي جازه والقيامة التي قامها.

وإذ وجد أنه لا يزال بعضهم يشك في أمر وجوده الشَّخصي كيسوع، طلب طعاماً وأكل قدَّامهم كما يأكلون. فهو حينما يُعلن حضوره ليكون موجوداً بجسده الذي كان قبل القيامة، يمكنه أن يأكل بصفة استثنائيَّة لكي يؤمنوا أنه هو هو. ولكن في السَّماء أي بوجوده الرُّوحاني في القيامة، لا يأكل ولا يشرب.

إنَّ في قول التَّلاميذ «نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات» (أعمال ١٠:٤١)، هي شهادة غاية في الأهميَّة، إذ تعطي القناعة الحسيَّة لتوثيق قيامة المسيح من بين الأموات بجسده هو هو. فهنا تحقيق للقيامة كما نؤمن بها، أنها قيامة حقيقيَّة وليست خياليَّة، وقيامة منظورة ومحسوسة على مستوى النَّظر والسَّمع والأكل والشُّرب، ممَّا ينعكس على حقيقة الأسرار المقدَّسة من جهة أكل الجسد وشُرب الدَّم على مستوى الخبرة المقدَّسة. هذه هي القيامة التي رآها وأحسها وباشر وجودها الحسي كلُّ التَّلاميذ آكلين وشاربين معه بعد قيامته المقدَّسة. وهنا في سرّ الإفخارستيَّا نأكل جسده الحقيقي، ونشرب دمه الكريم، ولكن في سرّ لا يُعبَّر عنه.

إنَّ ظهوره حياً بعد الآلام والصَّليب والموت، كان تثبيتاً للقيامة وقوَّتها ومجدها، وإظهاراً لسُلطانه على إقامة نفسه من الموت حسب قوله «لي سُلطان أنْ أضعها ولي سُلطان أن آخذها أيضاً» (يوحنَّا ١٠:١٨). وبالتَّالي سُلطانه على الإقامة من الأموات بالنِّسبة للذين يؤمنون به ويرقدون على رجاء القيامة. بل وتوضيحاً لنوع الجسد الذي سنلبس مثله في القيامة «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (فيلبي ٣:٢١).

لقد استلم التَّلاميذ عقيدة القيامة على الواقع المنظور، بل والمشروح بكلِّ دقائقه من فم الرَّب القائم من الموت. وبهذا صار الإنجيل والبشارة بالأخبار السَّارة بالنِّسبة للتَّلاميذ خبرة حيَّة وليس مجرَّد تعليم أو مبادئ مكتسبة بالفكر. فذاقوا القيامة قبل أن يُبشِّروا بها. وأدركوا ماهيَّة ملكوت الله بأفراحه، قبل أن يُسلِّموه للآخرين.

وهنا ولأول مرَّة، نأخذ ملامح واضحة لمعنى وحقيقة جسد القيامة بعد القيامة، فالمسيح هنا يظهر كمسيح السَّماء وليس مسيح الأرض بعد، حتى ولو كان على الأرض. فكان كلُّ هَم المسيح، أن يجعلهم يُدركون معنى القيامة وحقيقتها الملموسة إنْ صحَّ هذا القَول.

والمهم الذي يلزم أن نعرفه، هو أنَّ جسم القيامة جسم لا يُرى بالعين، ولا يُسمع بالأذن، وهو لا يعمل بالعين ولا بالأذن، ولكن يتفاهم الإنسان مع الإنسان ومع المسيح في القيامة، بالتَّخاطب الفكري دون كلام، حيث الفكر مكشوف للفكر، وهو أقوى وأصدق من الكلام بالفم، والسَّماع بالأُذُن.

• **جسد المسيح بعد القيامة، يملأ الكنيسة كلَّها**

+ خاطب الرَّب الجموع ذات مرَّة، وقال لهم: «أنا هو **خُبز الحياة**» (يوحنَّا ٦:٤٨). ثمَّ ركَّز حديثه بالأكثر فقال: «أنا هو **الخُبز الحي** النَّازل من السَّماء» (يوحنَّا ٦:٥١). وهنا تذمَّر اليهود وقالوا: 'أليس هذا هو يسوع بن يوسف، الذي نحن عارفون بأبيه وأمِّه؟ فكيف يقول هذا إني نزلت من السَّماء؟' فلم يتردَّد الرَّب، بل زاد الأمر تركيزاً بالأكثر بقوله: «الخُبز الذي أنا أعطي **هو جسدي**». وهنا خاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: 'كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟'. ولم يتردَّد الرَّب بل قرَّر بكل وضوح، وهو يتكلَّم عن جسده فقال: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم ... **جسدي مأكلٌ حق، ودمي مشربٌ حق**. من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه» (يوحنَّا ٦:٥٣-٥٦). وهنا كانت الصَّدمة الأشد، حيث تذمَّر الكثيرون من الذين يتبعونه. وحتى التَّلاميذ أنفسهم قالوا هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه؟ فقال الرَّب للتَّلاميذ: «أهذا يُعثركم؟ فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أوَّلاً!» (يوحنَّا ٦:٦٢). وهنا المسيح يلحُّ على العقل البشري ألاَّ يهبط بالإلهيَّات إلى مستوى التُّراب. وهنا رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه. ولم يهم يسوع ذلك. بل قال للاثني عشر: 'ألعلَّكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟' فأجابه سمعان بطرس: 'يا ربُّ إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبديَّة عندك'».

فالرَّب حين يتكلَّم عن صعود ابن الإنسان إلى السَّماء، فذلك لكي يجذب أفكارهم بعيداً عن الجسديَّات. لذلك أتبع الرَّب كلامة في الآية السَّابقة مباشرة بقوله: «الرُّوح هو الذي يحيي أمَّا الجسد فلا يفيد شيئاً» (يوحنَّا ٦:٦٣). وفي ذلك يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):

[من هنا يستطيعون أن يفهموا أنَّ الجسد الذي يذكره هو سمائي، من فوق، وأنه طعام روحاني يُعطى على يديه، لأنَّ «الكلام الذي قلته لكم، هو روح وحياة» (يوحنَّا ٦:٦٣)][٢].

وواضحٌ هنا من كلام القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي، أنَّ الجسد والدَّم في الإفخارستيَّا، هما جسده الحقيقي، ودمه الحقيقي، يمنحان الإنسان انتقالاً روحياً، ويهبان الإنسان قوَّة القيامة العتيدة.

وهذا هو نفس ما يقوله القدِّيس كيرلُّس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

[الجسد بحد ذاته بطبيعته الخاصة لا ينفع شيئاً من جهة التَّقديس، وإحياء الذين يتناولون منه. ولكن إذا اعتبرنا وآمنا أنَّ – الجسد هو – هيكل الكلمة (اللُّوغوس) فإننا ندرك أنه قادر أن يمنح القداسة والحياة، ليس من ذاته، بل بسبب اللُّوغوس المتَّحد به] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٧:١٣).

وفي ليلة الفصح، فاجأهم بنفس الأمر عن جسده المقدَّس، فيقول القدِّيس متى البشير: «وفيما هم يأكلون، **أخذ** يسوع الخُبز، **وبارك وكسر وأعطى** التَّلاميذ، وقال: **خذوا كُلوا هذا هو جسدي**. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلُّكم، لأنَّ **هذا هو دمي** الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (متى ٢٦:٢٦-٣٠).

هذا هو الجسد المقدَّس الذي للمسيح نفسه، والذي قال عنه علانية: «كما أرسلني الآب، وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يوحنَّا ٦:٥٧). هذا هو الجسد المقدَّس الذي يملأ الكنيسة كلَّها، في أيِّ قُدَّاس في كلِّ مكان وفي أيِّ زمان. هذا هو الجسد المقدَّس الذي يحمله الكاهن على يديه ويقول: ''أؤمن وأعترف إلى النَّفَس الأخير، أنَّ هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه ربُّنا يسوع المسيح من سيِّدتنا ملكتنا كلِّنا، والدة الإله القدِّيسة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وأسلمه عنَّا ... على خشبة الصَّليب ... بالحقيقة أؤمن أنَّ هذا هو بالحقيقة آمين''.

٢- الرِّسالة إلى سرابيون، ٤:١٩

• معني أننا سنكون مثله، لأننا سنراه كما هو

بعد أن عرضتُ لطبيعة جسد المسيح بعد القيامة، يبقى أن نعرف ماذا يعني قول الرَّسول يوحنَّا: «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، و لم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١يوحنا ٣:٢).

فما معنى «أننا سنكون مثله؟». سنكون مثله، لا على مستوى النُّور أو المجد أو البر، حاشا، ولكن على مستوى المحبَّة البنويَّة التي منحها لنا. ولهذا سنراه كما هو، لأننا سنكون مثله «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرَّب بوجه مكشوف كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصُّورة عينها، من مجد إلى مجد كما من الرَّب الرُّوح» (٢كورنثوس ١٨:٣). فهو رأس الجسد، أمَّا نحن فأعضاء هذا الجسد السِّري.

«الله لم ينظره أحد قط، إنْ أحبَّ بعضُنا بعضاً، فالله يثبُت فينا، ومحبَّته قد تكمَّلت فينا» (١يوحنا ١٢:٤). لأنه طالما أنَّ الله قائم في طبيعته، فليس للعين الرَّائية أن تعرفه أو تراه. والقصد هنا هو الرؤية الرُّوحيَّة، أو المعرفة الرُّوحيَّة، لأنَّ الله فائق على مستوى البشر «الذي لم يره أحدٌ من النَّاس، ولا يقدر أن يراه» (١تيموثاوس ١٦:٦). «لأنَّ الإنسان لا يراني ويعيش» (خروج ٢٠:٣٣). ولكن إنْ أحبَّ بعضُنا بعضاً، فهذا معناه أننا قد حصلنا على أهم ثمرة من ثمار طبيعته وهي المحبَّة، وهكذا من طبيعة الله ندرك الله وأننا قد أصبحنا في الله. فإنْ أحببنا الله وأحبَّنا الله، صارت طبيعته حالة فينا، وثبوتها فينا من ثبوت محبَّتنا فيه وفي أحبائنا. فطالما محبَّة الله حيَّة عاملة فينا، فهذا معناه أننا في الله ثابتون. «من يحفظ وصاياه يثبُت فيه. وبهذا نعرف أنه يثبُت فينا من الرُّوح الذي أعطانا» (١يوحنا ٢٤:٣).

إن كان قد شابهنا في كلِّ شيء، فالشَّبيه يرى الشَّبيه. فهي رؤية روحيَّة. ومن يعرف الحق يكون قد امتلكه «بنورك نرى نوراً» (مزمور ٩:٣٦)، لأننا سنكون شركاء مجده.

«فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرفُ بعض المعرفة، لكن حينئذ سأعرفُ كما عُرفت» (١كورنثوس ١٢:١٣). ننظره كما هو في طبيعته، لا في صورة، ولكن في ذاته وفي كامل مجده، كما نحن الآن أولاد الله بالحقيقة وليس بالصُّورة، وحاصلين على طبيعة حيَّة، ولكن على أساس أنَّ مجده لا نراه الآن، لأنه مُخفى، ولكنَّه هو سيُرينا مجدَه «أيها الآب أريدُ أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم» (يوحنَّا ٢٤:١٧).

متى أُظهر المسيح سنكون مثله، لأننا قد أخذنا منه الخليقة الجديدة بالقيامة من الأموات، فصرنا شركاء حياة جديدة أبديَّة. هذا هو إنساننا الجديد المخلوق على صورة الله في البر وقداسة الحق.

سنراه كما هو، أي سنراه كما هو فينا. لأنه لمَّا صارت فينا محبَّة الله الآب التي أحبَّ بها ابنه الوحيد، وصار هو فينا حسب صلاته الشَّفاعيَّة (يوحنَّا ١٧)، فماذا بقى حتى لا نكون مثله؟ نحن مثله من الآن، ولكن سيُظهِرنا الله يوم ظُهور الابن، على حقيقة خلقتنا الجديدة، عندما نقف أمامه كقدِّيسين وبلا لوم في المحبَّة.

فإنْ كان رجاؤنا أننا سنكون يوماً مثل الرَّب ونراه كما هو، فكم يكون هذا دافعاً لنا لأنَّ نسلك الآن بما يليق بهذا الوضع الذي سنكونه؟ لا أنْ نحفظ أنفسنا أطهاراً فقط، ولكن أن نكون قدِّيسين.

نراه كما هو، أي على حقيقته التي شابهنا فيها في كلِّ شيء هنا. وبظهوره يكون ظهورُنا حتماً، لأننا نحيا فيه، ونعيش حاضرنا ومستقبلنا أيضاً. فاستعلانه يشمل استعلاننا أيضاً بالضَّرورة، لأنَّ موتَه كان موتُنا، وقيامتَه قيامتُنا، وصعودَه كان صعودُنا، وجلوسَه في السَّماء كان جلوسُنا، فأصبح ظهورُه حتماً يشمل ظهورنا، ونحيا في مجد ظهوره، لذلك سنكون مثله.

هذا الذي له كلُّ المجد في كنيسته من الآن وإلى آباد الدُّهور كلها. آمين.